

## الرسالة

(كولوسي ٣: ٤-١١)

يا إخوة متي ظهر المسيح الذي هو حياتنا فأنتم أيضاً تظهرون حينئذٍ معه في المجد\* فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنى والنجاسة والهوى والشهوة الرديئة والطمع الذي هو عبادة وتث\* لأنه لأجل هذه يأتي غضب الله على أبناء العصيان\* وفي هذه أنتم أيضاً سلكتم حيناً إذ كنتم عاثسين فيها\* أما الآن فأنتم أيضاً اطرحوا الكل الغضب والسخط والخبث والتجديف والكلام القبيح من أفواهكم\* ولا يكذب بعضكم بعضاً بل اخلعوا الإنسان العتيق مع أعماله\* واليسوا الإنسان الجديد الذي يتجدد للمعرفة على صورة خالقه\* حيث ليس يوناني ولا يهودي لا ختان ولا قلف لا بربري ولا اسكيثي لا عبد ولا حر بل المسيح هو كل شيء وفي الجميع.

## الإنجيل

(لوقا ١٦: ١٤-٢٤)

قال الرب هذا المثل. إنسان

## ابن الإنسان

في الأنجيل، غالباً ما يستعمل الرب يسوع عبارة «ابن الإنسان» للدلالة على نفسه، بالإشارة المباشرة أحياناً وغير المباشرة أحياناً أخرى. ورود هذا اللقب على لسان السيد لا يخلو من الغموض، إذ كان يوحي بالسمو الخاص الدال على شخصية المسيح مرات،

ويتماهى مع الإنسان عموماً، مرات أخرى. أما المؤكد لدى شرّاح الكتاب المقدس فهو أن استعمال الرب يسوع لعبارة «ابن الإنسان» إنما هو للإعلان عن سلطانه الإلهي ومهمته

الخلاصية، ولو تفاوتت الوضوح في الإعلان بين المرة والمرة. يبقى أن السبيل الأوحى إلى إدراك مفهوم العبارة في أعماق معانيها يستلزم قطعاً العودة إلى جذور العبارة في أسفار العهد القديم والكتابات الأخرى في ذلك الوقت.

إن التعبير العبري لـ«ابن الإنسان» كما يرد في أسفار العهد القديم يدل في الأكثر على الفرد من الجنس البشري. كما نراه مراراً يستعمل للدلالة على ضعف الإنسان بل وزواله، وهو في سفر إشعياء مائت

وزائل كالعشب (١٢: ٥١). بنو البشر في سفر المزمير ابتعدوا كلهم عن سبل الله، وليس من بينهم واحد يعمل الصلاح (مز ١٤: ٣) وكل بني آدم يرجعون إلى الغبار (مز ٩٠: ٣).

صلاح الله وتنازله الفائق الوصف يتجليان أيضاً في أسفار العهد القديم عبر تدابيره الخلاصية التي لا تعد. عندما ينادي الله نبيه حزقيال «يا ابن البشر» يذكر النبي بطبيعته الفانية ويعلم تنازله

الفائق المتمثل في مخاطبة خلّاقه بلسان إنسان منهم. الإنسان الزائل كالعشب والعائد إلى الغبار يصبح بفضل الله رسولاً له ونبياً. أسفار العهد

القديم تتكلم كثيراً عن ضعفات «ابن البشر»، أي الإنسان، لكي تظهر عبره عظمة الله وعطاياه بأجلى بيان. ابن البشر هذا على صغره وهشاشته، يذكره الله ويفتقده، يكلمه بالمجد والبهاء ويسلّطه ملكاً على الخليقة بأسرها «فمن هو الإنسان حتى تذكره وابن آدم حتى تفتقده. وتنقصه قليلاً عن الملائكة وبمجد وبهاء تكلمه. تسلّطه على أعمال يديك. جعلت كل شيء تحت قدميه» (مز ٨: ٤-٦). هذه هي خلاصة مفهوم العهد القديم عن الإنسان.

العدد ٥٠/٢٠٠٣

الأحد ١٤ كانون الأول

أحد الأجداد

تذكار الشهداء تيرسس ورفقته

اللحن الأول

إنجيل السحر الرابع

في سفر دانيال النبي، وتحديدًا في إصحاحه السابع، ترد عبارة «ابن الإنسان» حاملة معنى رؤيويًا جديدًا ينتمي إلى العالم الإلهي وفيه من سموه. فقد وافت دانيال النبي رؤيًا أبصر فيها ابن الإنسان آتيا على سحاب السماء، متقدمًا حتى عرش الله ومتلقيًا منه سلطانًا ومُلْكًا لا يزولان على الأمم والخلائق بأسرها: «كنت أرى في رؤي الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقبوه قدامه. فأعطي سلطانًا ومجدًا وملكوته لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض» (دانيال ٧: ١٣-١٤). إن الأمكنة التي وردت فيها عبارة «ابن الإنسان» في سفرَي المزامير وحزقيال لا تمت إلى معنى العبارة في رؤيا دانيال بأية صلة. بعض المفسرين يستذكر أسطورة من الأدب الملحمي الفارسي القديم، تحكي عن الإنسان الأصلي الذي سيعود في آخر الأزمنة مخلصًا لبني جنسه، إذ إنه هو وحده لم يفسد. قد يجوز التشبيه وإن كان لا يكفي للإيضاح. وإذا عدنا إلى سفر دانيال، نراه مفسرًا رؤياه في الآيات التالية وفي تفسيره أن الملك الأزلي سوف يؤول إلى «شعب قديسي العلي» بعد الغلبة على الحيوانات التي تمثل ممالك الأرض أي قوى العالم وسلطانه (٧: ٢٢، ٢٧). فابن الإنسان إذا آتيا على سحاب السماء في مطلع رؤيا دانيال هو رئيس «شعب قديسي العلي» الذي تسلم إليه السيادة ليشارك في ملكوت الله.

في التقليد الرؤيوي اليهودي اللاحق لسفر دانيال نرى رمز «ابن الإنسان» يرجع مرارًا وبقوة، مع إظهار واضح لانتماؤه إلى العالم الإلهي. ففي واحدٍ من أبرز أسفار الأدب الديني

اليهودي، كتاب أمثال أخنوخ، يبدو ابن الإنسان مقيمًا بجوار الله، مملوءًا برًا وصلاحًا ومعلنًا عن الخيرات الآتية في آخر الأزمنة. وهو الذي سيتربع في آخر الأيام على عرش مجده ليدين الجميع، وبقربه سيحيا الأبرار بعد قيامتهم من بين الأموات. فيه بعض صفات عبد الله ومختاره الواردة في سفر إشعيا «هوذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي. وضعت روعي عليه فيخرج الحق للأمم» (١: ٤٢) ولكنه يبقى في كتاب أخنوخ كائنًا غامضًا. مما لا شك فيه أن هذا التقليد الأدبي أرسى بين اليهود بعضًا من عقيدة حول المخلص الآتي من السماء، وإن التبتت عليهم المعاني وتنوعت بين الدارسين والمفسرين.

نأتي إلى الأناجيل حيث اقتصر استعمال عبارة «ابن الإنسان» على الرب يسوع دون غيره، وقد تبدلت أطر استعمالها وتفاوتت بين المعنى الأخروي المرتبط بوضوح بالخلفية الرؤيوية التي أشرنا إليها آنفًا (متى ٢٤: ٣٠)، وبين مجرد المرادف للضمير الشخصي «أنا» (قارن بين متى ١١: ٥ ولوقا ٦: ٢٢). في آخر حياة يسوع العلنية يتضح أكثر معنى عبارة ابن الإنسان، إذ على سؤال رئيس الكهنة أثناء المحاكمة إن كان هو «المسيح ابن المبارك» نري السيد يجيب بلغة رؤيوية مطابقًا نفسه بالجالس عن يمين الله في سفر المزامير «قال الربُّ لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك» (١: ١١٠) والآتي على سحاب السماء في رؤيا دانيال (٧: ١٣). هذا وقد أعطى الرب يسوع التسمية معنى لم يبلغه الأدب الرؤيوي القديم. فابن الإنسان أتى ليحقق عبر حياته على الأرض ما لم يستطع غيره تحقيقه، وهو احتمال إهانة الناس له وقتلهم

صنعَ عشاءً عظيمًا ودعا كثيرين\* فأرسل عبده في ساعة العشاء يقول للمدعوين تعالوا فإن كل شيء قد أُعدَّ فطفق كلهم واحد فواحد يستعفون. فقال له الأول قد اشتريت حقلًا ولا بد لي أن أخرج وأنظره فأسألك أن تعفيني\* وقال الآخر قد اشتريت خمسة فدادين بقر وأنا ماض لأجربها فأسألك أن تعفيني\* وقال الآخر قد تزوجت امرأة فلذلك لا أستطيع أن أجيء\* فأتى العبد وأخبر سيده بذلك\* فحينئذ غضب رب البيت وقال لعبدِهِ اخرج سريعًا إلى شوارع المدينة وأزقتها وأدخل المساكين والجذع والعميان والعرج إلى ههنا\* فقال العبد يا سيده قد قضي ما أمرت به ويبقى أيضًا محل\* فقال السيد للعبد اخرج إلى الطرق والأسبجة واضطربهم إلى الدخول حتى يمتلئ بيتي\* فاني أقول لكم أنه لا يذوق عشاءي أحد من أولئك الرجال المدعوين\* لأن المدعوين كثيرين والمختارين قليلين.

## تأمل

إذا كنا قد علمنا ان المجد في القيامة هو السيرة الفاضلة فينبغي لنا أن نترك الاهتمام بالأباطيل الزائلة ونجتهد في عمل الصالحات لنحصل هناك

على الجلوس في صدور المجالس والتنعّم في وليمة سيدنا. وأنتم ترون قوماً من إخوانكم الذين عرفوا حقائق الأمور الحاضرة ورفضوها وطلبوا الأمور الباقية واختاروها فلبسوا حلل الاتضاع والوداعة وأعدوا أنفسهم لقتال العدو وقهروه لا بالسيف والرماح ولا بالسهام والحرب لكنهم كما ترونهم عراة من الدروع والأتراس مجردون من الأسلحة العالمية. وهم مع ذلك يفعلون ما لا يفعله الأبطال بأسلحتهم لأنهم كل يوم يحاربون الأعداء والأضداد ويقهرون الشهوات العالمية ويغلبونها، فيصدق فيهم كلام بولس الرسول حيث يقول «الذين هم للمسيح فقد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات» (غلا 5: 24). فإنهم بالحقيقة يراهم الناظرون كأنهم أموات مطروحون وقد قتلوا ذواتهم بسيف الروح حيث لا سكر بالخمير ولا شراهة في المأكول ولا تنعّم باللذات البدنية. فإننا نرى للسكير رؤوساً كثيرة كما للغول والحية الكثيرة الرؤوس اللذين يذكرهما أصحاب الخرافات. فینبت له من هنا رأس للزنى ومن هنا رأس للغضب ومن هنا رأس للافتخار ورأس للصلف ورأس لحب الغلبة ورؤوس أخرى كثيرة تنبت

إياه لينال أخيراً المجد من الله ويحقق الخلاص (مرقس 8: 31). لا بد لابن الإنسان، وقبل أن يظهر بمجده في اليوم الأخير، أن يقبل حياة أرضية طابعها التواضع والآلام الطوعية، بما يذكرنا من جديد بسفر دانيال حيث يسبق الاضطهاد استلام سيد قديسي العلي ملكه وسلطانه. من المرجح أن يكون هذا هو سبب تفضيل يسوع لعبارة «ابن الإنسان» على عبارة «المسيح» التي كانت تحمل بين أوساط إسرائيل القديم أبعاداً أكثر زمنية. إلا أن الموضوع الأكثر إبرازاً لأبعاد عبارة «ابن الإنسان» يبقى إنجيل يوحنا، حيث صيغة المجد تأتي لتلخص كل ما سبق فليل عن ابن الإنسان. فيسوع المسيح ابن الله، وبوصفه ابن الإنسان، سيعطى سلطان الدينونة في اليوم الأخير (يو 5: 27)، هو وحده «الذي نزل من السماء» (يو 3: 13)، وهو وحده الذي سيعود «إلى حيث كان أولاً» (يو 6: 62).

يستحيل علينا نحن المسيحيين أن نعي حقيقة مجد ابن الإنسان ذي الأصل السماوي والمزمع أن يرجع دياناً للخليفة بأسرها، ما لم نعيش بالخبرة الروحية اقتبال يسوع حالتنا البشرية بما فيها من آلام وتواضع. آلام ابن الإنسان وموته الجائر هما الطريق الوحيد إلى مجد القيامة. الكلمة ابن الله الأزلي صار إنساناً ليصير آدم جديداً يفتدي بطاعته ترمد آدم الأول، فيتروم فيه التاريخ البشري المجروح، ويعود الإنسان متى اقتبل خلاص المسيح ابن الإنسان إلى الحالة التي كان عليها أولاً، والتي من أجلها كان.

## الأنبياء والتجسد

«فقال (يسوع) لهما أيها الغبيبان والبطيئان القلوب في الإيمان بجميع

ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغي أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتداءً من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به في جميع الكتب» (لو 24: 27-27).

هذا ما قاله الرب يسوع للتلميذين لوقا وكلاوبا على طريق عمواس عندما ظهر لهما من بعد قيامته من بين الأموات مبيئاً لهما أن تجسده وكل ما حدث معه كان قد تنبأ به الأنبياء في العهد القديم. نفس الفكرة تتكرر عندما التقى الشماس فيليبس بوزير ملكة الحبشة كنداكة في الطريق بين أورشليم وغزة، وكان الوزير يقرأ في كتاب النبي اشعيا (يو 8: 53): «مثل شاة سيق إلى الذبح ومثل خروف صامت أمام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه. في تواضعه انتزع قضائوه وجيله من يخبر به لأن حياته تنتزع من الأرض. فأجاب الخصي فيلبس وقال أطلب إليك عن من يقول النبي هذا عن نفسه أم عن واحد آخر. ففتح فيلبس فاه وابتداءً من هذا الكتاب فبشره بيسوع» (أع 8: 32-35).

إننا نلاحظ مما ورد أعلاه أن من مهمات الأنبياء الأساسية في العهد القديم التهيئة لمجيء المسيح المخلص. حتى أن الإنجيلي متى يورد عشرات الاستشهادات والآيات من كتابات الأنبياء في العهد القديم لكي يثبت لسامعيه ولقرائه أن الطفل المولود في مغارة بيت لحم، يسوع الناصري، هو المسيح الذي ينتظرون مجيئه ليخلص العالم. لذا نراه يكتب عن ميلاد الرب «فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم. وهذا كله كان لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل (اشعيا

١٤:٧): هوذا العذراءُ تحبلُ وتلدُ ابناً ويدعونُ اسمهَ عِمَّانُوئِيلَ الذي تفسيرهُ اللهُ معنا» (متى ٢١: ٢٣-٢٣). لقد قلنا في العدد الماضي ان مهمة النبي حمل كلمة الله إلى الشعب وحثهم على التوبة والعودة إلى الأحضان الأبوية. ولأن الأنبياء وعوا ان خلاص البشر لا بد أن يكون خلاصاً إلهياً، وليس عن طريق ملوك أرضيين خطاة يهتمون بما لأنفسهم، فقد كانوا يبشرون بمجيء مخلص مرسل من الله يختلف عن كل ملك أرضي: «لأنه يولد لنا ولدٍ ونعطي ابناً وتكون الرئاسة علي كنفه ويدعى اسمه عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيساً السلام. لنمو رئاسته وللسلام لا نهاية على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن إلى الأبد» (أشعيا ٩: ٦ و٧)، و «ها أيام تأتي يقول الرب وأقيم لداود غصن ير فيملك مملكاً وينجح ويجري حقاً وعدلاً في الأرض. في أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً وهذا هو اسمه الذي يدعونه به الرب برنا» (إرميا ٢٣: ٥-٦).

يخبرنا النبي ميخا ان هذا الملك الجديد سوف يولد في بيت لحم: «أماً أنت يا بيت لحم أفراته وأنت صغيرة أن تكوني بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لي الذي يكون متسلطاً علي إسرائيل ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل» (٢:٥). هذا الملك هو ملك الملوك لأن إله السموات أعطاه مملكة واقتداراً وسلطاناً وفخراً، وسوف يقيم مملكة الله التي «لن تنقرض أبداً ومملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد» (دانيال ٢: ٤٤). وصاحب المزامير يخبرنا ان المسيح الآتي هو من نسل داود: «من أجل داود عبدك لا ترد وجه مسيحك. أقسم الرب لداود بالحق لا يرجع عنه. من

ثمره بطنك أجعل علي كرسيك... هناك أنبت قرنا لداود. رتبت سراجاً لمسيحي» (مز ١٣٢: ١١-١٨).

نظراً لأهمية الأنبياء في التهيئة لمجيء ابن البشر، ابن الله، لكي يتجسد على الأرض ويخلص جنس البشر، رتبت الكنيسة أن يقام تذكار لعدد من الأنبياء في الفترة التي تسبق عيد ميلاد الرب يسوع بالجسد. النبي ناحوم (١ كانون الأول)، النبي حبقوق (٢ كانون الأول)، النبي صفنيا (٣ كانون الأول)، النبي حجابي (١٦ كانون الأول)، النبي دانيال (١٧ كانون الأول). كما رتبت أن نعيد في الأعياد السابقين للميلاد لجميع الأجداد والآباء والأنبياء وبطاركة العهد القديم الذين ولدوا منذ آدم والذين هيأوا لمجيء ابن الله بحسب وعد الأب.

هؤلاء جميعهم مع أنبياء آخرين خارج هذه الفترة نعيد لهم لأن رسالتهم كانت دوماً قائمة على دعوة الناس إلى تغيير قلوبهم والتحول بها نحو الله لكي يأتي الله ويسكن فيها.

الأنبياء ينادون اليوم كصوت صارخ في بريّة قلوبنا كي نمهد الطريق لمجيء المولود. ومتى أتى عيد الميلاد يجد الرب مغارة دافئة في قلوبنا ومستعدة لاستقباله.

## أمسية مرتلة

بمناسبة عيد ميلاد ربنا يسوع المسيح بالجسد تقيم جوقة مدرسة الموسيقى الكنسية في أبرشية بيروت أمسية مرتلة عند الساعة من مساء الجمعة ١٩ كانون الأول ٢٠٠٣ في كنيسة رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل في المزرعة.

بالامكان الإطلاع على النشرة

أسبوعياً على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb

لأعمال أخرى قبيحة شبيهة بتلك. وأما هؤلاء الفائزون فقد قطعوا هذه الرؤوس من أصلها لأنهم قطعوا سببها الذي هو السكر. ألا تنظر إلى الجبايرة ذوي القوة والشجاعة المشهورين بالغبلة في الحروب كيف تقيدوا بقيود المسكرات. فتراهم مطروحين من غير قتال وأمواتاً من غير جراحات. لا بل هم أضعف كثيراً من الذين يسقطون في وقائع الحروب لأن أولئك قد يتحركون أو يرفسون أو يفهمون كلام المخاطبين لهم وأما هؤلاء فإنهم للوقت يسقطون كالأموات ولا يتحركون ولا يبنهون على شيء. وكما ان قائد الجيش إذا سقط قتيلاً تتبدد عساكره وينصرف كل واحد منهم إلى حيث تتوجه إرادته وهواه كذلك إذا سقط الرئيس القائم على تدبير الإنسانية الذي هو العقل تنصرف كل واحدة من الشهوات بحسب طبيعتها الحيوانية. وحينئذ يخوض ذلك السكران في لجة هذه الشهوات من غير خوف ولا حياء. فسبيلنا أن نترك الاجتهاد في إعداد اللواتم ونبادر إلى المهمات المسيحية ونحضر إلى منازلنا الفقراء والغرباء لكي ننال المجازاة في قيامة الصديقين.

القديس يوحنا الذهبي الفم